

اللسانيات الجغرافية في الفكر السويسري على ضوء المخطوطات المكتشفة

مقاربة تأصيلية

Geolinguistics in Saussurian thought in the light of discovered manuscripts Rooting approach

ط.د/ ربيعة بوالثوت*

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف / (الجزائر)

Boutoutrebiha71@gmail.com

تاريخ القبول: 2024-07-06

تاريخ التقييم: 2024-05-28

تاريخ الارسال: 2024-05-14

المخلص:

نروم من هذه الدراسة معرفة اللسانيات الجغرافية، باعتبارها فرعاً انبثق عن اللسانيات العامة، التي أسهم فرديناند دو سوسير في وضع أسسها وأطرها النظرية، وتتبع قضاياها المختلفة على ضوء المخطوطات المكتشفة، التي تعبر حسب اللسانيين المعاصرين عن الفكر السويسري الحقيقي، وفي كتاب محاضرات في اللسانيات العامة الحامل لأفكار منسوبة لفرديناند دو سوسير، الذي أُلّف بعد موته من طرف "شارل بالي" و"ألبير سيشهاي"، ولقد تنوعت قضايا اللسانيات الجغرافية في الفكر السويسري، وتضمنت مجالات اختلفت بمعرفة التغيرات الحاصلة في اللغة وربطها ببيئتها الجغرافية، وتعايش اللغات جنباً إلى جنب مع بعضها البعض، وأسباب التنوع الجغرافي، وتأثير الزمن كعنصر أساسي في هذا التنوع.

كلمات مفتاحية: اللسانيات الجغرافية؛ المخطوطات المكتشفة؛ الفكر السويسري؛ التعدد اللغوي؛ التنوع الجغرافي.

Abstract: Through this study, we aim to know Geolinguistics, as a branch that emerged from general linguistics, which contributed Ferdinand De Saussure in laying its foundations and theoretical frameworks while tracing its issues in the

light of manuscripts discovered in 2002, which expresses, according to contemporary linguists, the true Saussurian thought. In a book of lectures on general linguistics with ideas attributed to Ferdinand DeSaussure, written posthumously by his pupil Charles Paly and Albert Seignier, the issues of geographical.

Keywords:: Geolinguistics, Discovered Manuscripts, Saussurian Thought, Multilingualism, Geographical Diversity.

*المؤلف المراسل.

. مقدمة:

يزخر علم اللغة بقضايا ومباحث التقت مع مختلف أنواع العلوم، وتألفت في تشكيل المعرفة والحضارة الإنسانية على مر العصور منها: علم البصريات، وعلم الطب والأعصاب والتشريح، وعلم الموسيقى، وعلم الأصوات، وعلم وظائف الأعضاء وعلم الجغرافيا الذي يعبر بامتياز عن نموذج راق لتلاقح بحوث علم اللغة وعلم الجغرافية، ويعبر أيضا عن أصالة الفكر اللغوي وراقيه وانفتاحه على مختلف المعارف الإنسانية.

فعلم الجغرافيا تربطه باللغة علاقة وطيدة ومتقاربة، حيث يجتمعان في دراستهما لمختلف المواضيع والقضايا، كدراسة اللهجات لمختلف القبائل انطلاقا من توزيعها عبر المناطق والأقاليم المتقاربة والمتباعدة لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف بينها، والكشف عن الخصائص المشتركة التي تربط هذه اللهجات بعضها ببعض، مما جعل هذا العلم محل اهتمام العديد من الجغرافيين الذين درسوا اللغة في مؤلفاتهم خاصة الرحالة العرب من خلال احتكاكهم بمختلف القبائل المنتشرة في الرقعة الجغرافية العربية.

فالاهتمام بعلم الجغرافيا في دراسة الظواهر اللغوية نزعة قديمة لدى الدارسين اللغويين القدامى، وسار عليها اللغويون المحدثون والمعاصرون. ومع ظهور العلم الحديث اللسانيات الذي أرسى دعائمه "فرديناند دو سوسير" (Ferdinand de Saussure) والقائم على الدراسة العلمية والموضوعية للغة، برزت أهمية علم الجغرافيا وارتبطت مع اللسانيات لدراسة اللغات واللهجات، ومعرفة أسباب التنوع الجغرافي المؤدي إلى تنوع اللغات واختلافها من منطقة إلى أخرى.

إن علم الجغرافيا كان محل اهتمام من قبل مؤسس اللسانيات "فرديناند دو سوسير" فرصد من خلاله أسباب التنوع الجغرافي المؤدي لتنوع اللغات البشرية، وتميز كل لهجة عن الأخرى بسبب المناطق الجغرافية المتواجدة بها، فتضمن كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" في جزئه الرابع الحديث عن علم الجغرافيا، هذا الكتاب الذي ألفه تلميذاه "شارل بالي" (Charle Bally) و"ألبير سيدهاي" (AlberSechehaye) بعد موته والذي صدر سنة 1916.

نتج عن اكتشاف مخطوطات جديدة في (مشتل البرتقال) الخاص بعائلة دي سوسير سنة 1996، المكتوبة بخط يده، والحاملة لأفكار دي سوسير تختلف عن الأفكار التي تضمنها كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" "cours de Linguistique générale" تحولا فكريا استدعى ضرورة الكشف عن جوانب خفية من فكره اللسانياتي، يقول مختار زواوي: "لقد كان العثور على هذا المخطوط حدثا بارزا في مسار تلقي الفكر اللسانياتي لدو سوسير، ويمكن نشرها سنة 2002 من التعرف على جوانب عديدة من جوانب هذا الفكر."¹ أدى اكتشاف هذه المخطوطات إلى تزايد الاهتمام بها من قبل اللسانيين الغربيين والعرب، ووجهت دراستهم اللسانية لتحقيق هذه المخطوطات وترجمتها للكشف عن النسق الفكري الحقيقي لدي سوسير، ومن هذا المنطلق استوجبت هذه الورقة البحثية محاولة الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما موقع اللسانيات الجغرافية من اللسانيات العامة، والمخطوطات المكتشفة لدي سوسير؟ ونسعى من هذه الدراسة إلى تتبع قضايا اللسانيات الجغرافية، في فكر سوسير الأصيل في ضوء مخطوطاته المكتشفة، وبما جاء في محاضرات 1916.

1- مفهوم اللسانيات الجغرافية:

اللسانيات الجغرافية واحدة من فروع اللسانيات التي انبثقت عنها، لدراسة اللغة والكشف عن توزيعها الجغرافي، لمعرفة التعدد اللغوي وتنوع اللهجات وتعايشها في منطقة جغرافية معينة، "فاللسانيات الجغرافية هي العلم الذي يدرس اللغة باعتبار وجودها الجغرافي".²

تتعدد قضايا اللسانيات الجغرافية فتشمل "دراسة التوزيع الجغرافي للغات الإنسانية على أجزاء الكرة الأرضية، وتوضيح ذلك من خلال الأطالس اللغوية التي تحتوي على معلومات مختلفة كتحديد عدد المتكلمين مع بيان نوعية اللغة بالنسبة لهم، أهي لغتهم أم لغة رسمية كما نرى في الانجليزية في الهند وباكستان ونيجيريا وغانا، والفرنسية في كثير من البلدان الإفريقية ودول المغرب العربي، أم هي لغة ثقافية، أو لغة دينية، وتحديد اللهجات المختلفة التي ترتبط بكل لغة وتوزيعها"³، فاللسانيات الجغرافية تعالج مسائل تنطلق من التنوع البيئي والإقليمي وتأثيره على الظواهر اللغوية.

تعتبر اللسانيات الجغرافية جزءاً لا يتجزأ من علم اللغة، لوجود ارتباط بينهما، باعتبار الوجود الجغرافي للغات المنتشرة عبر الأقاليم الجغرافية، "والحديث عن الوجود الجغرافي لأية لغة من اللغات، لا يمكن فصله عن وجودها الاجتماعي"⁴.

اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، فهي تخص مجتمعا ما موجودا في رقعة جغرافية معينة، "فهذا الجانب الاجتماعي والمتكون من عادات وتقاليده وأعرافه، يشكل تقريبا كبيرا وأحيانا تماثلا بين لهجات المجتمعات التي لها نفس الحدود الجغرافية"⁵.

إن اللسانيات الجغرافية اتسمت بطابع العلمية في تفسير وتحديد العلاقة القائمة بين اللغة والبيئة الجغرافية المحتضنة لهذه اللغة، ولهذا تعنى اللسانيات الجغرافية "بدراسة الاحتكاك اللغوي بين نظامين مختلفين يتقاسمان النفوذ الجغرافي نفسه، في الغالب يختار أحد النظامين لغة رسمية وأدبية، ويوجه الثاني إلى الاستخدام المحلي الشفوي، وهذا الوضع يعرف بالثنائية اللغوية (Bilinguisme) وعليه فإن الموضوع الرئيس للسانيات الجغرافية يتمثل في دراسة التوزيع الجغرافي للغات المستخدمة اليوم على خريطة العالم، والكشف عن بيئاتها، وعدد الناطقين بها، ومستوياتهم المختلفة، وذلك عن طريق الإحصاءات السكانية المتنوعة، وإعداد الأطالس الجغرافية اللغوية التي تسمح للاختيارات المعجمية، وتداخلاتها بناءً على قربها أو بعدها من مراكز الضبط اللغوي"⁶.

هذا ما جعل اهتمامات اللسانيات الجغرافية تتوسع لوصف العلاقة القائمة بين اللغة وعلم الجغرافيا انطلاقاً من "ارتباط اللغة جغرافيا ببيئة معينة ومكان محدد، كما ترتبط بجماعة من البشر، وبذلك يستطيع علماء اللغة اليوم رسم خريطة العالم اللغوية"⁷، وهذه

العلاقة بين اللغة وعلم الجغرافية شكلت نقطة تقاطع لدراسة اللغات البشرية، في إطارها الجغرافي.

2- قضايا اللسانيات الجغرافية في محاضرات 1916:

أحدث كتاب محاضرات في اللسانيات العامة نقلة نوعية في الدراسات اللغوية؛ لما حمله من أفكار جديدة في دراسة اللغة تختلف عن الدراسات التي انتشرت خاصة في القرن التاسع عشر، حيث سادت الدراسة التاريخية والمقارنة للغة، القائمة على دراسة الظاهرة اللغوية دراسة تاريخية تطورية، وتتبع التغيرات والتحويلات الطارئة التي مست كل مستوياتها، الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية، أو بعضها خلال فترات زمنية متعاقبة، أو بالكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين لغتين أو أكثر، معتمدة في ذلك المنهج التاريخي والمقارن في هذا النوع من الدراسة، وهذا ما أشار إليه "ماريوباى Mario Bay" بقوله: "إن القرن التاسع عشر امتاز بغلبة الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة على مشهد الدرس اللغوي بوجه عام، فأخذوا يبحثون عن أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات البشرية، بينما في القرن العشرين غلب طابع الوصفية للغات، وكذلك دراسة العوامل التي من الممكن أن تؤثر فيها، وبرز ذلك عند (دي سوسير) عندما عرف اللسانيات العامة، ووضح أغراضه في أن البحث عن القوى المؤثرة باستمرار، بشكل عام في جميع اللغات، ومن أهدافه أيضا الوصول إلى قوانين عامة على أساس ما نشاهده من ظواهر خاصة"⁸.

إن الناظر في كتاب محاضرات في اللسانيات العامة يجده قد حمل عصارة فكر فرديناند دو سوسير، التي استخلصت من المحاضرات التي ألقاها عام 1907 إلى 1911، وألفه كل من "شارل بالي" و"البرت سيشهاي" بعد موته، واللذان لم يحضرا دروس دي سوسير، ولكنهما دونتا محاضراته في اللسانيات العامة انطلاقا من الملاحظات المكتوبة في كراسات طلابه، "وتفحص الملاحظات التي كانت بحوزتهم والتي دونها دي سوسير، وانتقاء ملاحظات الطلاب ودمجها وتنقيحها"⁹.

نتج عن جمع هذه الملاحظات إعادة البناء لفكر دو سوسير، وتأليف كتاب محاضرات في اللسانيات العامة الذي تضمن مواضيع مختلفة، أهمها علم اللغة السانكروني وعلم اللغة الدايكروني وعلم اللغة الجغرافي، هذا الأخير خُصصَ للحديث حول قضايا متعددة أهمها تنوع اللغات، وأسباب التنوع الجغرافي، والتعايش بين اللغات.

فالسانيات الجغرافية من القضايا الأساسية التي اهتم بها "فرديناند دو سوسير"، والمطلع على كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، يجد أن "شارل بالي" و"ألبرت سيشهاي" أثناء جمع وتنظيم المواضيع التي شكلت محتوى هذا الكتاب-قد خصصا الجزء الرابع وجزءا من مقدمة الكتاب للحديث عن علم اللغة الجغرافي، الذي تضمن قضايا متعددة تدخل في إطار اللسانيات الجغرافية التي أسس أطرها النظرية فرديناند دو سوسير، وأصبحت فرعا من فروع اللسانيات العامة.

استعمل "دو سوسير" عبارة علم اللغة الخارجي للحديث عن اللسانيات الجغرافية التي انبثقت فيما بعد كفرع عن اللسانيات، بقوله: "كل شيء يختص بالانتشار الجغرافي للغات، وإلى تفرع اللهجات، إنما يقع خارج علم اللغة. إن التمييز بين علم اللغة الداخلي والخارجي يبدو من الأمور المتناقضة هنا، طالما أن الظاهرة الجغرافية مرتبطة ارتباطا وثيقا بمقومات وجود اللغة. ولكن الانتشار الجغرافي وتفرع اللهجات لا يؤثران في النظام الداخلي للغة"¹⁰، ومن أهم قضايا اللسانيات الجغرافية التي تضمنها كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة" نجد:

1-2 التنوع اللغوي:

لاحظ فرديناند دو سوسير مسألة العلاقات المكانية وأثرها على الظاهرة اللغوية من حيث إحداث التنوع في اللغات على المدى البعيد، وقدم من أجل إثبات وجهة نظره تفسيرا وبعض النماذج لإبراز أسباب هذا التنوع.

واعتبر دو سوسير ما يظهر في دراسة اللغات هو "تنوعها؛ أي الفروق اللغوية التي تظهر عند الانتقال من بلد إلى آخر، بل من منطقة إلى أخرى. وكثيرا ما يغيب عن بال الملاحظ التنوع الزمني، أما التنوع المكاني فيظهر للمرء في الحال، بل يدركه الرجل البدائي بفضل اتصاله بأبناء قبيلة تتكلم لغة أخرى"¹¹.

ربط دو سوسير بين اللغة والتاريخ السياسي الداخلي والخارجي لاسيما الغزو الدولي والاستيطان الذي من شأنه إحداث التغير اللغوي، فالنزوح لما استخدمت اللغة الدانماركية عندما اتحدت سياسيا مع الدانمارك، حاول النرويجيون التخلص من هذا التأثير اللغوي فيما بعد¹²، فالتنوع اللغوي ناتج عن الاختلاف المكاني والزمني اللذين أحدثا الفروقات اللغوية على المدى البعيد، وأثر على اللغات، وأحدث تغيرات في مستوياتها، وأنتج اندثار لبعض اللغات، وبرز لغات جديدة، تحمل لخصائص لغوية جديدة، أرجعها دي سوسير للغزو الحاصل في المجتمعات والمناطق الإقليمية التي أصبحت خاضعة للاحتلال الأجنبي سياسيا وثقافيا ولغويا، وهذا ما أثر سلبا في القضاء على اللغات الرسمية التي كانت سائدة في الدول المستعمرة ردحا من الزمن.

2-2 التنوع الجغرافي:

اعتبر دو سوسير التنوع الجغرافي من المسائل الجوهرية في الدراسة العلمية للغة، ورصد أهم أسباب التنوع البيئي الذي يتم بصور متعددة أهمها:

2-2-1 عامل الزمن:

بالرغم من قلة وضوحه في التنوع الجغرافي إلا أنه هو العامل الحقيقي المؤدي لهذا التنوع، ولذلك وجب تسمية التنوع الجغرافي بالتنوع الزمني، هذا التنوع الذي سيظهر جليا بعد فترة من الزمن، ويشمل مستويات اللغة، سواء اللغة الأصلية أو المنقولة أو كليهما¹³.

اعتبر دو سوسير عامل الزمن سببا رئيسا في تنوع اللغات وتفرعها وتمييزها واستقلالها تدريجيا من الناحية البنوية، إذ يقول: "لنتصور أبسط إطار ممكن من الملاحظات النظرية حتى يساعدنا على استخلاص العمل الجوهرية الذي تسبب في التمايز اللغوي بين أنواع اللغات التابعة لفصيلة واحدة جغرافيا. ولنتساءل عما قد يحدث لو أن لغة يتكلم بها أناس في نقطة معينة، واضحة الحدود هي جزيرة-مثلا- نقلها معمرين إلى نقطة معينة واضحة الحدود أيضا هي جزيرة أخرى، فبعد مضي حقبة من الزمن سنرى أنه ظهرت بين اللغة في موطنها الأول (م) وفي موطنها الثاني (م1) فروق متنوعة في المعجم والنحو والنطق"¹⁴، فعامل الزمن يسبب التنوع والتعدد اللغوي، ويظهر تأثيره تدريجيا، ويؤثر على مستويات اللغة، بعد مرور مدة زمنية من انتقال مجموعة سكانية من منطقة، واستقرارها في منطقة

أخرى، أين ستأثر باللغة المستعملة من طرف سكان الموطن الثاني، وتبدأ التغيرات تظهر تدريجياً.

2-2-2 تأثير الزمن في المناطق المتصلة جغرافياً:

يقول دو سوسير: "قد تسيطر لغة واحدة على منطقة جغرافية بأكملها، في لحظة معينة من التاريخ، وبعد مرور خمسة قرون، أو عشرة، ربما لا يستطيع سكان هذه المنطقة أن يفهموا لغة سكان جزء آخر بعيدة عنهم. ومع ذلك يفهم سكان كل جزء من المنطقة لغة سكان الجزء المجاورة لهم"¹⁵.

فالأقاليم الجغرافية المتقاربة والمتصلة أدت إلى تنوع اللغات وتعددتها مع مرور الزمن وتنوع أشكال اللسان، كالتغير في الجانب الصوتي الذي يحدث مثلاً في الصوت (a) الذي يصبح (e)¹⁶.

إن الاحتكاك الحضاري بين المجتمعات، وتنقل الأفراد من بيئة جغرافية لأخرى واختلاطهم بأفرادها واستقرارهم فيها، أفرز التعدد اللغوي، وتأثر الأفراد بلغة البيئات الأخرى التي انتقلوا للعيش فيها بسبب الظروف الاجتماعية والتجارية وحتى الاستعمارية، وبمرور الوقت تظهر تغيرات في الجانب الصوتي ونطقهم لبعض الأصوات بطريقة أخرى.

3-2 التعايش بين اللغات واللهجات:

تأثير الزمن على اللغات المتصلة والمتباعدة، والتي تلتقي فيما بينها بفعل الظروف السياسية والتجارية، والحروب والتبادل الثقافي والتي تنتمي لمنطقة جغرافية واحدة قد يحدث بينها تشابك أو انسجام وتعايش، واعتبر دو سوسير التمازج أو الاختلاط العضوي الحقيقي بين لغتين يؤدي إلى التغيير في النظام اللغوي، مثل ما حدث للإنجليزية بعد الغزو النورماندي، وقد يحدث التعايش بين لغتين في منطقة جغرافية واحدة، ويعيشان جنباً إلى جنب، مثل ما حدث في جنوب إفريقيا التي تعرضت للتغلغل اللغوي بسبب الاستعمار الهولندي والإنجليزي، فتعددت لغاتها وتمازجت وتعايشت فيما بينها، وجمعت بين اللغات الزنجية واللغة الإنجليزية واللغة الهولندية¹⁷.

فالتعايش بين اللغات واللهجات حتمية أفرزتها الظروف المتصلة بالمناطق الجغرافية التي أفرزتها ظروف التقارب البيئي والإقليمي، الناتج عن الهجرة أو النزوح السكاني لمناطق أخرى،

4-2 اللغة الأدبية واللغة المحلية:

تناول دو سوسير هذه المسألة انطلاقاً من تشكل اللغة الأدبية بعد مرور فترة زمنية، والتي تتميز بها الأمم التي بلغت مرحلة معينة من المدنية، لتعبر عن لغة الأدب والثقافة واللغة الرسمية في البلاد، وتستعمل جنباً إلى جنب مع اللغة المحلية، كما نجد ذلك عامة في ألمانيا وإيطاليا حيث بقيت اللهجات جنباً إلى جنب مع اللغة الرسمية¹⁸.

فاللغة الأدبية هي اللغة التي يقاس بها تطور الأمم، لأنها اللغة التي يعبر بها عن النضج الفكري والرقى الذي بلغته هذه الأمم في جميع الميادين.

من خلال هذه القضايا التي تناولها دو سوسير في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" نجدها تعبر عن اللسانيات الجغرافية التي تعنى بدراسة اللغة في سياقها اللساني الجغرافي، وربط اللغات واللهجات ببيئتها الجغرافية من جهة، وساهمت في وضع الأسس والأطر النظرية لتأسيس علم اللسانيات الجغرافية من جهة أخرى.

كما قدم دو سوسير للسانيات الجغرافية، ووضح أطرها المنهجية، وجعلها تحتل "بوصفها فرعاً من فروع اللسانيات الموسعة، أو اللسانيات الخارجية على حد وصف سوسير مكانة متميزة على صعيد الدراسات اللسانية الحديثة بوصفها مركز انطلاق وتلاق للمنهجية الوصفية (الآنية) في تحليلها للظاهرة اللغوية بمختلف مستوياتها في ارتباطها بالمكان، ناهيك عن كونها مصدراً لمعطيات مادية ضمن المنهجية التاريخية يمكن أن تساعد إلى حد بعيد في تفسير التغيير اللساني"¹⁹.

هذا ما جعل اللسانيات الجغرافية رغم حداثةا تعنى بدراسة اللغة في إطارها الجغرافي دراسة علمية موضوعية، وتكشف عن العلاقة الكامنة بين المتغيرين، وتأثير كل منهما في الآخر، وتبين تأثير اللهجات بموقعها الجغرافي، وتخطيها للحدود الطبيعية والبيئية وتحقيق التعايش اللغوي الذي نتج عنه التشابه والاختلاف في الخصائص اللغوية من منطقة لأخرى، ولعل السبب الرئيسي الذي وجه دي سوسير للاهتمام بهذا النوع من الدراسات هو تأثره بالأفكار اللغوية التي سادت عصره، والتي اتجهت لدراسة اللغات الإنسانية، ومعرفة أنسابها وتطورها الدلالي والتغيرات التي تعترى اللغة، واختلاف اللهجات وتداخلها من بيئة

لأخرى، مما ساعد دي سوسير على بناء فكره اللسانياتي انطلاقاً من الارتباط القائم بين اللغة والجغرافية.

3- اللسانيات الجغرافية في ضوء مخطوطات سوسير المكتشفة:

شهد البحث اللساني المعاصر مرحلة جديدة من مراحل تلقي لسانيات سوسير، وتميز ببوادير ظهور ملامح السوسيرية الجديدة المعبرة عن معالم الفكر السوسيري الحقيقي الناتجة عن اكتشاف مخطوطات مكتوبة بيد فرديناند دو سوسير سنة 1996 والتي قام بتحقيقها ونشرها كل من "سيمون بوكي" (Simon Bouquet) و"رودلف أنجلر" (Rudolf Engler) سنة 2002، والتي فتحت مرحلة جديدة لإعادة النظر في الفكر اللساني المعاصر، هذه الكتابات التي جُمعت في كتاب حمل اسم "كتابات في اللسانيات العامة" و"كان دو سوسير يوماً أومئ به إلى صديقه أنطوان ميبه واعتقد الجميع أنه عزف عن كتابته، وما هو الكتاب منشور ضمن نصوص أخرى، قديمة وجديدة، تدل من جديد على أن معرفتنا بدي سوسير وفكره معرفة لا تتجاوز صفحات الكتاب في المحاضرات في اللسانيات العامة الذي ألفه من بعد موته شارل بالي وألبير سيشيهاي استناداً إلى وثائق تفصلها عن فكر دو سوسير الأصيل مسافة معتبرة"²⁰.

فأصبحت هذه المخطوطات المكتشفة تعبر عن فكر دو سوسير اللسانياتي و السيميائياتي وأسلوبه العلمي في دراسة المسائل والوقائع اللسانية، وترمي إلى إعادة بناء اللسانيات من جديد والنظر في تشكيلاتها الجوهرية، هذه الكتابات التي "أحدثت تحولا عميقا في تلقي فكر دو سوسير، وصار كتابه، في جوهر اللغة، الذي نشر ضمن هذه الكتابات، إلى جانب كتابات جديدة عثر عليها معه، وكتابات قديمة كان "رودلف أنجلر" قد نشرها ضمن طبعته النقدية عامي 1968 و1974، مصدرا أصيلا من مصادر مشروع لساني يرنو إلى تأسيس لسانيات عامة، موحدة للسانيات اللسان ولسانيات الكلام."²¹

إن المتصفح للترجمات التي قدمت لكتابات فرديناند دي سوسير المكتشفة يجدها احتوت على نصوص "مألوفة بالنسبة للباحث الذي اعتاد على طبعتي كتاب المحاضرات النقديتين اللتين أنجزهما "رودولف أنجلر" و"تيلور دو مورو" (Taylor de Morae) وعلى النصوص التي أثبتها "روبالغودال" (RoberGoder)، من قبل في كتابه الأصول المخطوطة

لكتاب المحاضرات، برزت نصوص أخرى جديدة كل الجدة، تحمل في طياته مصطلحات جديدة، ومفاهيم ليس له عهد بها، من مثل تلك التي أشار إليها "تيلور دو مورو"، بمناسبة مقدمته للترجمة الإيطالية لكتاب جوهري اللغة.²²

حسب الدارسين والمترجمين لكتابات اللسانيات العامة لدي سوسير المكتشفة. فان نصوصها صيغت بطريقة مختلفة عن نصوص كتاب محاضرات في اللسانيات العامة، أين انتهج دو سوسير "منهج الفقرات الصغار في تأليفها، وكأنها جزرا ترامت في بحر عميق من التأمل والتبصر في طبيعة اللغة الإنسانية، والألسن البشرية، لكنها جزر لا تكاد تنفصل عن بعضها بعض تماما حتى تدرك يسر الانتقال من إحداهن إلى أخرى، وتجد نفسك منساقا إلى إعادة النظر من جديد فيما قرأت من قبل."²³

وتبدو فكرة تجزئة النصوص بسبب طبيعة الموضوعات التي تناولها دو سوسير والمتعلقة بالألسن وعلم اللغة، يقول دو سوسير: "يبدو في الواقع مستحيلا، في اللسانيات، تفضيل إحدى الحقائق على غيرها حتى تغدو المنطلق الأول، لكن ثمة حقائق أساسية، خمس أو ست، متصلة فيما بينها اتصالا وثيقا بحيث يحسن البدء بأي منهن فنصل منطقيا إلى الأخريات، ونصل إلى كل النتائج نفسها كما لو بدئنا بأي حقيقة أخرى."²⁴ خاصة تجزئة النصوص في معالجة المواضيع التي تضمنتها المخطوطات المكتشفة هناك من اعتبرها دليلا على النضج الفكري والتدبر العلمي في إبداء الحقائق وتمحيصها وتوضيح معالمها واستنفاد مكنوناتها استنفادا.²⁵

في حين أن هناك تأويل آخر "لروي هاريس" (Roy Harris) يرى أنه "عند الفحص الأولي، تبدو هذه الملحوظات كأنها لم تكن مخطوطة بما له علاقة بأي مشروع محدد في مسيرة سوسير الأكاديمية، بل إنها موزعة على مدة طويلة من الزمن."²⁶

وأشار الباحث مختار زواوي في مؤلفه "مسائل في تلقي النظرية السوسيرية" إلى التصنيف الذي اتبعه كل من سيمون بوكي وودولف أنجلر لترتيب كتابات دو سوسير في اللسانيات العامة مستخلصة من المسودات التي كان يحاضر بها دروسه في اللسانيات العامة بجامعة جنيف، والتي ألقاها على طلبته خلال السنوات الأخيرة قبل وفاته بين عامي

1907 و1911، والتي تضمنت ثمانية نصوص مجزأة، تنتمي إلى حقل السيميولوجيات، باستثناء النص الأخير.²⁷

وهذه النصوص المكونة لكتابات دو سوسير الجديدة "هي:

-الطبيعة غير المادية لوحداث اللسان.

-عدم أهمية الوسيلة.

-اللسان.

-السيميولوجيات.

-نسق العلامة والمجتمع.

-القيمة والمجتمع.

-الانفصال الجغرافي.

-التبادل بين سكان مناطق بعيدة".²⁸

إن الناظر لهذه النصوص التي شكلت كتاب دو سوسير "كتابات في اللسانيات العامة" يجد بعضها مشابها للعناوين التي تضمنها كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، ويتلاقى معه، كالنص السابع والثامن اللذين يندرجان ضمن اللسانيات الجغرافية. وبالاطلاع على النصوص التي حققها كل من سيمون بوكي وودولف أنجلر سنة 2002، والتي تكشف عن معالم أصيلة وحقيقية من معالم فكر دو سوسير اللساني والسيميائي، نجدها تناولت قضايا في اللسانيات الجغرافية تمثلت في:

3-1 الانفصال الجغرافي:

يرى دو سوسير أن الانفصال الجغرافي الذي يتم بالانتقال من بيئة إلى أخرى له تأثير على اللغات، وقد يكون هذا التأثير جوهريا داخليا، ويصيب اللسان المنقول من بيئة إلى بيئة أخرى، دون التأثير على اللسان المستقر، وقد يحدث العكس، ويكون التغيير في كليهما، إذ جاء في الفقرات المنقولة عن دو سوسير المتعلقة بالتوزيع الجغرافي للألسن قوله: "هذه الاختلافات اختلافات قد تصنف على مستوى المفردات، والنحو، والصوتيات، والنطق. وعلينا أن ننبه منذ البداية على ضرورة تجنب الاعتقاد بأن اللسان المنقول بعيدا هو الذي يتغير، في حين يبقى الآخر مستقرا. وليس العكس كذلك صحيحا، ولكن قد يحدث لكليهما هذا الأمر ذلك".²⁹

الانفصال الجغرافي عند دو سوسير هو في الحقيقة واقعة لسانية جغرافية، ناتجة عن انفصال مجموعتين تتحدث لغة واحدة، موجودتين في رقعة جغرافية معينة، ويؤدي انفصالهما جغرافيا إلى اختلاف في الألسن، ولكن هذا الاختلاف لا يؤثر كثيرا في هذه الألسن، ويبين دو سوسير ذلك بقوله: "يمكننا أن نشرع في تصور حالة تتوفر فيها ظروف جد بسيطة، وهي الحالة التي يتخذ فيها لسان ما، بعد انتقاله إلى بيئة بعيدة، مسارا تطوريا مستقلا في مركزين منفصلين أنجلوسكسيوني، كندي، مثلا، وهي حالة تعبر عن انفصال جغرافي (لكن الانفصال قد يحدث بوجه آخر، وليست هذه الحالة إذن موضوع بحث نظري: والدليل على ذلك اللسان الرومي). وسيتبين لنا لاحقا أن الانفصال لا يحدث، في حقيقة الأمر، جوهريا، ظروفًا مختلفة كل الاختلاف الذي تبدو عليه. وسيتبين لنا أنه من العسير التحقق من التأثير الفعلي لهذا الانفصال، ولكن يمكننا أن نتصور، في المقام الأول، جماعة وقد انفصلت انفصالا ماديا بارزا إلى مجموعتين".³⁰

يرجع دو سوسير منشأ الاختلافات التي تحدث بين لسانين مختلفين جمعتهم رقعة جغرافية واحدة إلى عامل الزمن، بقوله: "ولكن يمكننا، بشيء من التأمل أن ندرك أن هذه الاختلافات منشأها الزمن، وأنه من البديهي أن السكسونيين والإنجليزيين كانوا في اليوم التالي من إنزالهم يتكلمون باللسان نفسه. إن التغيير يقتضي زمنا مضى".³¹ من الملاحظ أن التغيرات التي تحدث في الألسن والتحويلات التي تطرأ عليها بسبب الانفصال الجغرافي مردها علميا ونظريا لعامل الزمن عند دي سوسير، وليس الاختلافات في الرقعة الجغرافية ذاتها.

2-3 التطور ضمن التتابع الجغرافي:

يحدث التنوع اللغوي بين المجموعات المتقاربة، كما يحدث بين المجموعات المتباعدة، وبمرور فترة زمنية بعيدة يحدث تطور وحركية لا مناص منها، وأشار دو سوسير لهذا النوع من التنوع اللغوي في كتاباته المكتشفة بقوله: "لقد سبق أن افترضنا نوعين من التنوع الممكن بين لسانين: التنوع مع القرابة، وهو تنوع في الدرجة، والتنوع بدون قرابة، وهو تنوع مطلق، أي جذري. ولم أكن قد سقت مثالا لا عن هذا، ولا عن ذلك، على الرغم من الأمثلة عديدة، ومنها يمكن القول ألا قرابة إطلاقا بين اللسان الصيني وكل لسان من ألسنا الهندية الأوروبية، أو بين اللسان التركي وألسنا الهندية الأوروبية، في حين أن التنوع بين

الفرنسية والإسبانية يندرج ضمن تنوع مع القرابة، مثلما أن التنوع الحاصل بين الألسن الرومية والألمانية هو تنوع مع القرابة.³²

فالتنوع اللغوي يحدث على المدى البعيد بين المجموعات اللغوية التي تربطها صلة قرابة، ويظهر فيما بعد في أوساط الناطقين بلغات تتشابه فيما بينها.

3-3 التنوع الجغرافي من وجهة نظر أسبابه:

عند قراءة نص دو سوسير بشأن هذه المسألة نجد أنه يؤكد على ضرورة تفسير ظاهرة التنوع الجغرافي بين المجموعات المتقاربة والمجموعات المتباعدة وحصر أسباب هذا التنوع، والتي يمكن حصرها في حالة التنوع مع القرابة، في حين لا داعي في حالة التنوع بدون قرابة، ويعبر عن ذلك بقوله: "إننا بالنسبة للتنوع مع القرابة، في مجال الملاحظة، وكل شيء يعد بأنا سنحظى بأجوبة أكيدة دون أن نغادر هذا المجال. إن اختلافا كالاختلاف القائم بين الفرنسية والبروفنسالية لم يكن دائما موجودا، لذا من الممكن إذن أن ننظر كيف حدث أو تطور. أما بالنسبة للمسألة الثانية فأني أرغب أيضا أن تطرح هي الأخرى، لكنها لا تعدو أن تكون مجرد تأمل لا غير."³³

يبدو من رأي دو سوسير في هذه المسألة المتعلقة بضرورة البحث وحصر الأسباب المتعلقة بالتنوع الجغرافي بالنسبة للمجموعات التي تربطها علاقة القرابة، دون المجموعات التي لا تربطها هذه العلاقة راجع لعلاقة صلة القرابة التي اكتشفت بين اللغتين الهندية والأوروبية، والتي تعددت الدراسات بشأنها خاصة في القرن التاسع عشر.

4-3 التبادل بين سكان المناطق المتباعدة:

يشير دو سوسير في هذه المسألة إلى ضرورة توسيع المناطق الجغرافية بسبب المبادلات المحلية، التي تؤدي إلى التمازج والتجانس اللغوي، والتأثير فيما بينها، واسترجاع وحدة الألسن بعد انفصالها. إذ يقول دو سوسير: "إن ابتكارا حدث في نقطة ما قد يؤول عن طريق التبادل بين مناطق متباعدة إلى الأندثار، ويمحي من اللسان حتى تستعاد الوحدة. وقد يحدث العكس ويصبح هذا الابتكار بفعل التبادل معديا ويمارس قوة ناشرة تعيد اللسان وحدته."³⁴

إن المتفحص لهذه النصوص المتعلقة بالكتابات في اللسانيات العامة التي خطها دو سوسير يجدها تضمنت الحديث عن مسائل تتعلق باللسانيات الجغرافية، وتتفق غالبا مع مدونات الطلبة التي صيغت منها نصوص كتاب في المحاضرات العامة.

4. خاتمة:

انطلاقا مما ذكرنا من استطلاعات للسانيات الجغرافية في فكر سوسير من خلال محاضرات 1916 والمنسوبة إليه، وفكره وفق ما استجد ضمن المخطوطات المكتشفة سنة 1996 والمكتوبة بيده، تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- إن الحديث عن اللسانيات الجغرافية في محاضرات 1916 تميز بالتوسع في التحليل والتعليل. في حين وردت في المخطوطات المكتشفة مختصرة.

- اعتماد دو سوسير على النماذج وتقديم الأمثلة لإثبات وجهة نظره في دراسته لمختلف القضايا المتعلقة باللسانيات الجغرافية.

- مساهمة دو سوسير في وضع الأطر النظرية للسانيات الجغرافية القائمة خاصة على التعدد اللغوي والتنوع الجغرافي والتعايش اللغوي.

- وضح دو سوسير العلاقة القائمة بين اللغة باعتبارها أداة للتواصل وتبادل الثقافات بين الشعوب، وبين المكان الذي يتحكم في توزيع وتعدد اللغات وتعايشها.

- عامل الزمن عند دو سوسير له فعالية في التغيير اللغوي وتعدد وتمايز اللغات واستقلالها تدريجيا من الناحية البنوية بعد مرور فترات زمنية طويلة ضمن الأسرة اللغوية الواحدة بعد الانفصال الجغرافي، وأما البعد المكاني فهو عامل ثانوي وأقل تأثيرا على التنوع اللغوي وتمايزه.

- اتسام اللسانيات الجغرافية بطابع العلمية جعلها تعتمد على "المنهج الجغرافي الذي ينهض على الوصف والتحليل الميداني للمعطيات المسوحة، وهو وثيق الصلة باللسانيات الوصفية والتاريخية والاجتماعية وعلم اللهجات، وهذه العلوم تشترك في الاهتمام بدراسة أمور كثيرة تتصل بعالم اللغة المادي".35

-إن المتتبع للتلقّي الغربي والعربي للفكر السوسيري من خلال محاضرات 1916 يلاحظ رصد الباحثين اللسانيين للعديد من القضايا الواردة فيه، كاللسانيات الجغرافية التي تناولوها بالدراسة والتأليف، مثل كتاب "دعوة إلى اللسانيات" لمؤلفه "ماريو باي"، وكتابه "أسس في علم اللغة"، وبظهور المخطوطات المكتشفة، والتي تعبر عن الفكر الأصيل لدي سوسير، يمكن أن تفتح هي الأخرى أفاقاً جديدة للدارسين والباحثين لرصد ما استجد من أدبيات الفكر السوسيري في اللسانيات الجغرافية وغيرها.

قائمة المراجع:

- ¹زواوي مختار، 2017، من جديد - مدخل إلى اللسانيات-، دار الروافد الثقافية وابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، ص147.
- ²ستيتية سمير شريف، اللسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج، 2008، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، ص617.
- ³مردلسي، الجودي ، اللسانيات الجغرافية وأثرها في توجيه دلالة الكلمات القرآنية، 2015، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد22، ص27.
- ⁴استيتية شريف سمير ، اللسانيات-المجال، والوظيفة، والمنهج، ص 617.
- ⁵شعلان سارة، حلیم رشيد، قضايا اللسانيات الجغرافية في كتاب المخصص لابن سيدة، 2022، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، المجلد14، العدد15، ص703.
- ⁶بوقرة نعمان عبد الحميد، اللسانيات الجغرافية في النص السوسيري، ماذا بقي منها؟ مقارنة تأصيلية في أعراف التأسيس وضوابط الإجراء، 2017، ضمن كتاب العودة إلى سوسير، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط1، ص171، 172.
- ⁷المرجع نفسه، ص170.
- ⁸سوادی طعمة حسن ،الدلّفي علي حسن عبد الحسين، نشأة اللسانيات الجغرافية وسؤال العلمية، البولاني، 2022، مجلة اللسانيات التطبيقية، جامعة الجزائر 2، بوزريعة، الجزائر، المجلد6، العدد3، ص379.
- ⁹لويك دوبيكير، تر:زيماء بركة، فهم فرديناند دو سوسير وفقاً لمخطوطاته-مفاهيم فكرية في تطور اللسانيات-، 2015، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، ص27.
- ¹⁰دي سوسير فرديناند، تر:يونيل يوسف عزيز علم اللغة العام، 1984، دار أفق العربية، بغداد، ط3، ص40.
- ¹¹المرجع نفسه، ص214.
- ¹²ينظر المرجع نفسه، ص39.

- ¹³ ينظر المرجع نفسه، ص 219، 220.
- ¹⁴ دي سوسير، فردينان، تع: صالح قرمادي، محمد الشاوش، محمد عجيبة دروس في الألسنية، 1985، الدار العربية للكتاب، د.ط، ص 294.
- ¹⁵ دي سوسير، فردينان، علم اللغة العام، ص 222.
- ¹⁶ ينظر المرجع نفسه، ص 221.
- ¹⁷ ينظر المرجع نفسه، ص 216.
- ¹⁸ ينظر المرجع نفسه، ص 218.
- ¹⁹ بوقرة، نعمان عبد الحميد، اللسانيات الجغرافية في النص السوسيري، ماذا بقي منها؟ مقارنة تأصيلية في أعراف التأسيس وضوابط الإجراء، 2017، ص 200.
- ²⁰ زواوي، مختار، دوسوسير من جديد-مدخل إلى اللسانيات-، ص 12.
- زواوي، مختار، ²¹ مقدمات في النظرية السوسيرية، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة 2021، الجزائر، ط 1، ص 06.
- ²² دو سوسير، فرديناند، تحقيق: سيمون بوكي ورودولف أنغلر، تر: مختار زواوي، في جوهر اللغة، 2019، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، ص 48.
- ²³ زواوي، مختار، مسائل في تلقي النظرية السوسيرية، 2021، ، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط 1، ص 157.
- ²⁴ المرجع نفسه، ص 157.
- ²⁵ ينظر المرجع نفسه، ص 157.
- ²⁶ روي، هاريس، تر: أحمد شاكر الكلابي، سوسير ومؤلوله، 2022، دار الكتاب الجديدة، لبنان، ط 1، ص 311.
- ²⁷ ينظر زواوي، مختار، مسائل في تلقي النظرية السوسيرية، ص 145.
- ²⁸ المرجع نفسه، ص 146.
- ²⁹ دو سوسير، فرديناند، تع: سيمون بوكي ورودولف أنغلر، تر: مختار زواوي، نصوص في اللسانيات العامة، 2021، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، ص 200.
- ³⁰ المرجع نفسه، ص 199.
- ³¹ المرجع نفسه، ص 200.
- ³² المرجع نفسه، ص 202.
- ³³ المرجع نفسه، ص 203.
- ³⁴ المرجع نفسه، ص 203.
- ³⁵ بوقرة، نعمان عبد الحميد، 2017، اللسانيات الجغرافية في النص السوسيري، ماذا بقي منها؟ مقارنة تأصيلية في أعراف التأسيس وضوابط الإجراء، ص 171.